الفصل الثالث
الدوافع النفسية

Motives of Psychological

الدوافع النفسية

أنواع الدوافع :

يصدر سلوك الإنسان عن دوافع مختلفة بعضها فطرى والآخر مكتسب وليس من اليسير التمييز بين الدوافع الفطرية والدوافع المكتسبة، ولعل ذلك يرجع إلي طبيعة الإنسان من ناحية ، وتأثير البيئة الاجتماعية من ناحية أخرى .

وتذهب بعض مدارس علم النفس إلي تقسيم الدوافع تقسيما آخر ، وهو الدوافع الأولية والدوافع الثانوية ، وقد يسمى البعض الدوافع الأولية باسم الدوافع العضوية ، والدوافع الثانوية باسم الدوافع النفسية والاجتماعية .

أولا ـ الدوافع الشعورية :

هي الاستعدادات التي يولد الفرد مزودا بها فلا يكتسبها عن طريق الخبرة والمران والتعلم ، ولذلك فأنها تسمى أيضا الدوافع الفطرية .

والدوافع الفطرية عامة مشتركة بين جميع أفراد النوع الواحد وقد يشترك فيها عدة أنواع ، كما أنها تظهر منذ الميلاد أو في سن مبكر أي أنها سابقة علي كل خبرة وكل تمرين ، وهذا دليل فطريتها ، وقد تظهر بعض هذه الدوافع الفطرية في وقت متأخر ، وذلك حين يبلغ الفرد مستوى معينا من النضج . وبعض هذه الدوافع يعمل علي احتفاظ الفرد

بكيانه العضوي (البحث عن الطعام) ، في حين يعمل الدافع الجنسي علي المحافظة علي بقاء النوع .

١ـ الدوافع الأولية [البيولوجية الفسيولوجية]:

تتفاوت الأغراض التي تتطلب الدوافع الأولية تحقيقها من حيث أهميتها لحفظ حياة الفرد ، ومن حيث قدرة الفرد علي تحملها ، فالجوع والعطش يعتبران أهم الدوافع العضوية الفطرية ، ويعتبر تحقيقها من أهم العوامل لحفظ حياة الفرد . وقد درست أهمية الدوافع الأولية بالنسبة لبعضها البعض ، فأجريت بعض التجارب علي الحيوان لسهولة إخضاعه للتجريب ، ولبعد الحيوان عن أثر العوامل الثقافية . وقد ظهر من بعض الدراسات التي أجريت في هذا الصدد أن دافع العطش يعتبر من أقوى الدوافع ، يليه دافع الجوع ، ثم دافع الجنس .

٢ ـ الدوافع الثانوية [النفسية الاجتماعية]:

عرفنا أن الدوافع الأولية مشتركة بين جميع أفراد الإنسان والحيوان، وأنها جزء من كيانها العضوى ، وأنها فطرية . أما الدوافع الثانوية فبعضها مشترك بين جميع أفراد الإنسان ، مع وجود فوارق تختلف من بيئة إلي أخرى ، وبعضها الأخر شخصي يختص بفرد دون آخر . ويميل علماء النفس إلي اعتبار هذه الدوافع مكتسبة .

وبعض هذه الدوافع الثانوية ، كالعواطف والعقد ، تنشأ في ظل الظروف المختلفة المحيطة بالفرد في البيئة التي يعيش فيها . فعاطفة حب الأم تنشأ لدى الطفل علي أساس أنها مصدر تحقيق حاجاته الأولية فهي مصدر الغذاء والأمن . ومع النمو الجسمي يستطيع أن يميز بين

ذاتـه وبـين أمـه ، وهنـا تنشـأ علاقـة جديـدة بينهمـا قوامهـا الصـلة المتبادلـة والخبـرات السـارة والعطـف والمحبـة ، وتتكـون لـدى الطفـل عاطفـة حـب لأمــه وقـد يتعـرض الطفـل فـي بعـض الأحيـان لألـوان مـن الحرمـان ومشـاعر الخـوف وفقدان الأمـن النفسـي فيترتـب علـي ذلـك تكـوين اتجاهـات نفسـية معقـدة ينشـأ عنهـا اخـتلال اتـزان الطفـل النفسـي ، تظهـر آثـاره فـي سلوك الطفل .

وكمـا يطلـق علـي الـدوافع الأوليـة اسـم الـدوافع الفسـيولوجية ، فـأن الــدوافع الثانويــة يطلــق عليهــا اســم الــدوافع الســيكولوجية إذ أن صــلتها بالتكوين النفسي أقوى من صلتها بالتكوين العضوي .

والـدوافع الثانويـة غيـر محـدودة العـدد ، كمـا أنهـا متغيـرة مـن فـرد لآخر ، بل أنها متغيرة من وقت لآخر حني بالنسبة للفرد الواحد .

وهنــاك تقســيم آخــر للــدوافع الثانويــة ، فــيمكن أن نقســمها حســب ظـروف تكوينهـا إلـي دوافـع نفسـية اجتماعيـة دوافـع نفسـية شخصـية أو ذاتيـة ، وتحـت الـدوافع الاجتماعيـة يمكـن أن ينـدرج الميـل إلـي الاجتمـاع والميــل إلــي الســيطرة والميــل إلــي تكــوين الأصــدقاء ، وتحــت الــدوافع الشخصية يمكن أن نضع الدوافع إلي المقاتلة .

ويمكن توضيح بعض هذه الميول كما يلي :

١ـ الميل إلي الاجتماع :

الـدافع إلـي الاجتمـاع موجـود عنـد الإنسـان والحيـوان ، ولا يظهـر هـذا الـدافع عنـد الأطفـال عـادة قبـل نهايـة السـنة الأولـي ، فيبـدأ الطفـل فـي تكـوين علاقـات مـع غيـره مـن أطفـال ، وتكـون هـذه العلاقـة مقصـورة فـي بدايـة

الأمر علي عدد قليل جدا من الأفراد . وباتساع محيط الطفل الاجتماعي يزداد عدد الأفراد الذين يكون معهم صلات اجتماعية ، فتشمل هذه الصلات جماعة الرفاق شك اللعب وزملاء المدرسة ، ويشعر الطفل بالانتماء إلي الجماعات المختلفة التي هو عضو فيها .

وتحدد الظروف التي يمر بها الطفل في نموه الاجتماعي مسار هذا النمو ، فإذا كانت هذه الظروف تساعد علي تقوية شعوره بالانتماء سار نموه الاجتماعي سيرا حسنا ، علي حين أن الظروف التي من شأنها أضعاف الشعور بالانتماء فأنها تجعل الطفل منعزلا ، وتكون روابطه بالمجتمع ضعيفة وغير مستقرة .

وطبيعي أن استجابة الفرد للمجتمع تتوقف إلي حد بعيد علي درجة نضجه الجسمي والعقلي والانفعالي ، فهي التي تساعد علي الاستقرار الانفعالي وعلي تكوين علاقات مستقرة مع المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد .

ويتصل بالميل إلي الاجتماع طائفة أخرى من الميول الاجتماعية التي من شأنها تحقيق الصلة بين أفراد المجتمع ، ومن أهمها التقليد والاستهواء والمشاركة الوجدانية .

التقليد :

وهو من الميول الاجتماعية الوثيقة الصلة بالتعلم الاجتماعي ، فهو يقوم في أساسه علي التعلم من المجتمع المحيط بالشخص ، وهو الذي يقدم النماذج المختلفة التي يقوم الطفل بتقليدها .

وبذلك فالتقليد وثيق الصلة بالميل إلي الاجتماع . والتقليد علي مستويات مختلفة منها التقليد البسيط ، ومن أمثلته الأسلوب الذي يكتسب به الطفل الصغير اللغة ، فالطفل حين يسمع الأصوات العشوائية التي تصدر عنه يحاول تقليدها ، ثم يسمع الكبار من حوله يرددون وراءه نفس المقاطع فيحاول من أخرى تقليدهم مثلما حاول تقليد نفسه من قبل . وهناك مستوى أعلي من التقليد يقتضي من الشخص الذي يقوم بعملية التقليد صفات ومهارات خاصة حتى تكون عملية التقليد صحيحة . فالفنان والرسام الذي يقلد نموذجا معينا لابد أن تتوافر فيها مهارات خاصة ، وهذا النوع من التقليد يهدف إلي تحقيق غرض ، وبذلك فهو يختلف عن النوع السابق من التقليد الذي غالبا ما يكون تقليداً أعمي . ومن هنا يتبين أن التقليد وسيلة من وسائل التعلم وهو وثيق الصلة بالميل الاجتماعي .

الاستهواء :

وهو كالتقليد يرتبط بالميل الاجتماعي ، ويعتبر الاستهواء سمة نفسية من سمات الشخصية تجعل الفرد يتقبل أفكار الغير دون تمحيص ونقد ، ويظهر الاستهواء عند الفرد بصورة واضحة عندما تكون معايير الحكم علي الأشياء لديه ناقصة ، فالمريض يتأثر بما يسمعه عن نفسه وعن مرضه ، سواء أكان ما يسمعه صحيحا أم مبالغا فيه . كذلك نجد الفرد في حالات التعب والإنهاك والتخدير أكثر استعداد لتقبل ما يشاع حوله من أفكار ، كما أن الأغبياء وضعاف العقول أكثر قابلية للاستهواء من غيرهم . وبهذا القياس نجد الأطفال أكثر تقبلا لأفكار الكبار ، ونجد الجماهير يتقبلون بسهولة آراء القيادات .

المشاركة الوجدانية :

ويـرتبط بالميـل الاجتمـاعي كـذلك مـا يسـمى بالمشـاركة الوجدانيـة ، وهـي القـدرة علـي مشـاركة الآخـرين مـا يشـعرون بـه مـن فـرح أو حـزن ، وهـي مـن عوامـل الملائمـة بـين الفـرد والبيئـة التـي يعـيش فيهـا ، كمـا أنهـا موجـودة عنـد الطفـل الصـغير والشـخص الكبيـر علـي حـد سـواء ، وقـد لـوحظ أن المشـاركة الوجدانيـة تـرتبط بنـوع النظـام السـائد فـي المجتمـع وبمـا يتسـم بـه مـن روح الاعتـداء أو روح العـدوان ، علـي حـين يسـود فـي مجتمـع آخـر روح المسـالمة ، والطفـل يكتسـب هـذه النـواحي العدوانيـة أو الاتجـاه لمسـالمة منـذ صـغره . فهـو مـثلا يشـعر بأنـه غيـر مرغـوب فيـه مـن الوالـدين ، وذلـك مـن الأسـلوب الجـاف أو العـدواني الـذي يعامـل بـه ، أو ممـا يسـود الحيـاة المنزليـة مـن شـجار بـين الوالـدين ، أو مـا يسـود البيئـة المحيطة به من رغبة في الانتقام .

٢ـ المقاتلة :

اعتبرهـا مكـدوجل اسـتعدادا فطريـا يولـد الطفـل مـزودا بـه ، كمـا ذهـب أصـحاب نظريـة التحليـل النفسـي إلـي أن العـدوان تعبيـر عـن غريـزة الهـدم التـي تتعلـق بتحطـيم الحيـاة . وإلـي جانـب هـذه الآراء عـن نظريـة الميـل إلـي الاعتـداء والمقاتلـة ، هنـاك آراء أخـرى تـذهب إلـي القـول بـأن العـدوان أمـر مكتسـب فـي ظـل البيئـة التـي يعـيش فيهـا الفـرد ، ويظهـر هـذا الميـل مـن احتكـاك الفـرد بـالآخرين فـي الجماعـة وينـتج مـن سلسـلة طويلـة مـن العوامـل الإحباطيـة التـي يتعـرض لهـا الفـرد ، فـالفرد تثيـره منبهـات أو مثيـرات عـدة تدفعـه ، إلـي القيـام بـألوان السـلوك التـي تهـدف إلـي تحقيـق

أهداف معينة ، وذلك من أجل خفض التوتر ، فإذا ظهر ما يعوق تحقيق الهدف ظهرت الميول العدوانية لدى الفرد .

علي أن الدراسات التي قامت بها " مرجريت عيد " أو ضحت أن بعض القبائل البدائية تميل إلي المقاتلة ، بينما بعضها الآخر يميل إلي المسالمة ، ولذلك يميل البعض إلي الاعتقاد بأن الإنسان بطبيعته لا يميل إلي المسالمة ولا إلي الاعتداء ، وإنما توجد لديه حاجات أساسية لا يستطيع الحياة بدونها ، وهذه الحاجات تحتاج إلي إشباع ، وأي عائق يقف في سبيل تحقيقها وإشباعها يؤدي إلي الغضب الذي هو صورة من السلوك العدواني .

ثانياً ـ الدوافع اللاشعورية :

ويعتقد الشخص العادي أنه قادر علي معرفة دوافعه وتوجيه سلوكه توجيها شعوريا ، ولكن الحقيقة أن الإنسان لا يكون في أغلب الأحيان شاعرا بدوافع خفية كامنة تعرف باسم الدوافع اللاشعورية ، هذه الدوافع لا يشعر المرء بها كما أن السلوك الذي يصدر عنها سلوك غريب أو شاذ أحيانا علي نحو ما يتضح مثلا في حالات التنويم المغناطيسي ، وفي حالات المخاوف المرضية الشاذة كالخوف من الأماكن المفتوحة أو المغلقة ، والخوف الشديد من الكلاب أو القطط أو التلوث بالميكروبات . بل قد تتضح هذه الظاهرة في سلوكنا وحياتنا العادية علي نحو ما تبدو مثلا في فلتات اللسان وزلات القلم وأخطاء القراءة ونسيان المواعيد وأحلام اليقظة .. الخ فالهفوات التي يتورط فيها لسان الإنسان أو قلمه عن غير قصد ظاهر منه تسبب له كثيرا من الحرج ، ونسيان الميعاد

الـذي يحـدده لشـخص معـين قـد يمثـل رغبـة لا شـعورية فـي عـدم الترحيـب بلقائه .. وهكذا .

والـدافع اللاشـعوري بمعنـاه العـام هـو الـدافع الـذي لا يشـعر الفـرد بوجـوده . ومـن الممكـن التمييـز بـين نـوعين مـن هـذه الـدوافع : دوافـع خفيـة ولكـن بقليـل مـن التأمـل والتفكيـر يسـتطيع الفـرد أن يحـدد طبيعتهـا ، فـإن نسـى الشـخص الـذهاب إلـي موعـد حـدده مـع شـخص آخـر ، فإنـه قـد يسـتطيع أن يصـل إلـي معرفـة أن سـبب النسـيان هـو رغبـة كامنـة فـي الـنفس بـألا يلتقـي بصـاحب الموعـد ، ومثـل هـذه الـدوافع التـي يسـتطيع الفـرد أن يكتشـف عـن وجودهـا كثيـرا مـا تتضـح لنـا فـي مظـاهر كثيـرة مثـل هفـوات اللسـان وزلات القلـم والنسـيان وغيرهـا . ولكـن هنـاك آخـر دفـين فـي الـنفس لا يسـتطيع الفـرد الكشـف عنـه . وغالبـاً مـا تكـون دوافـع قديمـة مكبوتـة طواهـا النسـيان منـذ عهـد الطفولـة ، فلـم يعـد الفـرد يفطـن إلـي أن مـا يحركـه اليـوم هـو هـذه الـدوافع القديمـة . وغالبـاً مـا تكـون هـذه الـدوافع ثقيلـة علـي الـنفس تسـبب لصـاحبها الألـم أو تجلـب لـه الهـم أو الحـزن أو تمـس كرامتـه أن هـي ظهـرت واضـحة فـي الشـعور . وهـذا هـو السـبب فـي إمعـان الـنفس في إخفائها وكبتها .

الكبت :

وهـو مـن العمليـات اللاشـعورية البـارزة فـي حيـاة الإنسـان ، ومعنـاه اسـتبعاد الخبـرات المؤلمـة بغيـر قصـد مـن الحالـة الشـعورية إلـي الحالـة اللاشـعورية ، والحيلولـة بغيـر إرادة دون ظهورهـا مـرة أخـرى فـي الحالـة الشـعورية ، وبـذلك تطـرد الـدوافع والانفعـالات والرغبـات والـذكريات

المؤلمة أو المخيفة أو المخزية من الشعور وتستبعد كما لو كانت قد آلت إلي منطقة خفية عند الإنسان ، يسميها البعض اللاشعور أو كما يسميها المؤلف البنك النفسي.

ويفترض أن الذي يقوم بعملية الكبت هذه هو الرقيب أو الضمير اللاشعوري (البنك النفسي) عند الفرد ، ولكن الرقيب قد يغفل أحيانا ، ومن ثم فإن هذه الرغبات المؤلمة المكبوتة تستطيع أن تدخل إلي " مسرح الشعور " في صورة أحلام النوم أو عندما يكون الفرد تحت تأثير التحذير أو التعب أو الانفعال الشديد .

وللكبت في حياتنا وظيفتان :

١ــ أنه وسيلة وقائية دفاعية يدفع بها الفرد عن نفسه ما يزعجه ويخجله أو يتنافى مع المثل العليا الأخلاقية والاجتماعية .

٢ـ أنه وسيلة لصد الدوافع المحظورة المتأثرة ، وخاصة الدوافع الجنسية والعدوانية ، التي تهدد بالإفلات ومحاولة الدخول إلي الشعور . ولكن هذه الدوافع قد تفلح في التعبير عن نفسها علي نحو ما في فلتات اللسان وزلات القلم وأحلام النوم وفي ألعاب الأطفال ورسومهم وفي أعراض المرض النفسي .

ويحسن أن نشير إلي عملية أخرى يتم فيها استبعاد الرغبات والأفكار والذكريات المؤلمة من الشعور، ولكن بطريق إرادي ، وهذه العملية هي عملية القمع .

فالقمع هو الاستبعاد الشعوري الإرادي المقصود المؤقت للدوافع والرغبات والأفكار من الشعور ، علي نحو ما يقمع المرءوس مظاهر غضبه من رئيسه

ففي القمع نشعر بالدافع ونشعر به ولا ننساه . أما في الكبت فلا نشعر بالدافع بل ولا نعترف به .

أفكار نفسية

نظرية الغرائز والتحليل النفسي في تفسير السلوك .

شبه وليم جيمس الشعور بتيار الماء .

نظرية الغرائز والمدرسة السلوكية في تفسير السلوك .

يصدر سلوك الإنسان عن دوافع مختلفة .

يتصل بالميل الاجتماعي طائفة أخرى من الميول الاجتماعية .

الشعور واللاشعور .

المدرسة السلوكية ونظرية المجال النفسي في تفسير السلوك .

الدوافع الأولية والدوافع الثانوية .

الدوافع الشعورية والدوافع اللاشعورية .

الكبت والقمع .

الشخص المريض أكثر قابلية للاستواء.

دافع العطش أقوى الدوافع الأولية .

نسيان الفرد لميعاد شخص معين .

نسيان الفرد لميعاد شخص معين قد يكون رغبة كامنة في النفس ألا يلتقي بهذا الشخص .